تقديم الصفة على الموصوف في كتاب (مغامرات لغوية) لعبد الحق فاضل

Presenting the Adjective to What Is Described in the Book (Linguistic Adventures)By Abdul Haq Fadel

أ.م.د. حيدر محمود عبدالرزاق

Asst. Prof. Dr. Haider Mahmood Abdel-Razzaq

كلية النور الجامعة / قسم اللغة العربية

Al Nour University College /the department of Arabic language E-mail: haider.mahmood@alnoor.edu.iq

https://orcid.org/0009-0004-5390-8490

الكلمات المفتاحية: الصفة ، الموصوف ، اسلوب عربي قديم ، اسلوب مغاير ، الشعر الجاهلي.

Keywords: adjective, described, old Arabic style, different style, pre-Islamic poetry.

الملخص

في كتاب (مغامرات لغوية) لمؤَلِّفه اللغوي المعروف الدكتور –عبدالحق فاضـل– الصـادر عن دار العلم للملايين ما يربو على الأربعين موضـــوعاً لُغوياً عالجها المؤلف باهتمام وَتَدبّر، بضمنها بحثٌ بعنوان (تقدم الصفة على الموصوف في العربية) خلاصتُهُ أنَّ هذا الأسلوب دخيلٌ على اللغة العربية جاءَها بفعل مجاورتها للغة الفارسية التي تقدّم الصفة على الموصوف، وأُحاول في هذا البحث البرهنة على أنَّ هذا الأسلوب (تقدم الصـفة على الموصـوف) سلوكٌ لغويّ عريق في اللغة العربية؛ اسـتخدمه الشـعراء منذُ عصـر ما قبل الإسـلام شـأنُهُ شـأنَ أسـلوب (تقدم الموصـوف على الصـفة) فهما أُسـلوبان لا علاقةَ لأحدهما بالآخر، وأنَّ ما يراد من تقدم الصـفة على الموصـوف في اللغات الآرية، ومنها الفارسـية، هو الشـيء نفسُـه الذي تريدهُ اللغة العربية وهي تقدم الموصـــوف على الصـــفة، بمعنى أنَّ هذا الســـلوك اللغوي أي (تقدّم الصـــفة على الموصوف) شيءٌ خاص باللغة العربية لا يوجدُ في غيرها من اللغات لتكتسبُهُ منها...

أَمَّا خطة البحث، فتمثلتْ في تتبعي لآراء (عبدالحق فاضـل) التي أَوردها تباعاً وهو يبرهن على أَنَّ سلوك الصفة أَصبح غير منطقي عندما تقدَّمت على موصوفها ومناقشتي لها تباعاً على وفق هذا التسلسل... ومن الله التوفيق.

Abstract

In the book (Linguistic Adventures) by the well-known linguist Dr. Abdul Haq Fadhel, published by Dar Al-Ilm Lil-Malayin, there are more than forty linguistic topics that the author addressed with interest and deliberation, including research entitled (Advancing the Adjective over the Noun in Arabic), the gist of which is that this style is foreign to the Arabic language and came to it as a result of its proximity to the Persian language, which places the adjective before the noun. In this research, I try to prove that this style (adjective before the noun) is an ancient linguistic behaviour in the Arabic language. Poets have used it since the pre-Islamic era, just like the style of (the description precedes the adjective), as they are two styles that have no relation to each other. What is meant by the description precedes the described in the Aryan languages, including Persian, is the same thing that the Arabic language wants when it precedes the described, meaning that this linguistic behavior, i.e. (the description precedes the described), is something specific to the Arabic language that does not exist in other languages for it to acquire it from them... As for the research plan, it was represented in my following the opinions of (Abdul Haq Fadil) that he mentioned in succession, as he proves that the behavior of the adjective became illogical when it precedes its described, and my discussion of them in succession according to this sequence... And success comes from God.

تقديم الصفة على الموصوف في رأي (عبدالحق فاضل)

قبل أَن أَذهبَ –مباشـــرةً– أَبحثُ في كتبِ اللّغةِ، ودواوينِ الشّـــعراء عن اســـتخدامهم لأسلوبِ (تقدم الصفة على الموصوف) للبرهنةِ على صحَّةِ رسوخهِ في اللغةِ العربيةِ وقدمِه فيها، أَجدُ من المفيد أَنْ نتعرّفَ على النَّهجِ الذي اتّبعهُ الباحثُ (عبدالحق فاضـــل) للوصـــول إلى استنتاجاته هذه، ونضعَ ملاحظاتنا عليها.

يقول في مسـتهل البحث: "القاعدة في العربية أَنَّ الصِّـفةَ تلي الموصـوف، وتجاريهِ في مختلف حالاته، ولكنّي لحظتُ باستغراب كبير أَنّنا كثيراً ما نقدم الصفة على الموصوف دون أَنْ نشعر خلافاً للقاعدة اللغوية وخلافاً للمنطق العقلي" (فاضل،د.ت،١٥٧)

وأرى أَنَّ هذا سـلوكٌ لغوي يُراد بهِ ما يُرادُ من الأسـاليب الأُخرى كتقديم الموصـوف على الصـفة بدليل –وكما سيمرُّ بنا– أنّنا قد ألفناهُ في أَقدم النصـوص الشـعرية التي وصـلتنا، لشـعراء مُتَبَدِّين في جزيرتهم أُخذتِ اللغة عنهم...

أَمَّا قوله: إنَّ هذا الأُســلوبَ خلافٌ للمنطق العقلي واللغوي، فســنرى فيما نســتقبلُ من البحث أنَّ هذا هو منطق العربية، وســـلوكها، وإنَّ في العربية من التقديم والتأخير أَكثر ممّا يُحصى، بل إنَّ المعاني تتوالد بهذه الطريقة يقول عبدالقاهر الجرجاني: "ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف بك موقعه، ثمّ تنظر فتجد سببَ أَنْ راقَكَ ولَطُفَ عندكَ أَنْ قُدِّمَ فيه شيءٌ، وحُوّل منه اللفظ من مكان إلى مكان. (الجرجاني،١٩٩٢، ٧٣)

وَيُدَلِّلُ الزركشـــي على قوَّةِ ملكةِ الكلام عند العرب، وانقياده لهم، وهم يُقَدِّمونَ في الكلام، ويؤخِّرون أَنّه "أَحدُ أَســاليبِ البلاغة، فإنّهم أتوا بهِ دلالة على تَمَكُّنهم من الفصــاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم".(الزركشي،١٩٧٢ ، ٢٢٣/٣)

ومن هنا نُدركُ أَنَّ للتقديم والتأخير غايات يَقصدُها المتكلم، يقول ابن جني: فإنَّ الأعرابي اذا قويت فصــاحته وســمت طبيعته تصــرّف وارتجل ما لم يســبقه أحد به (ابن جني ،٢٠٠٣ ، ٢٧/٢)

بمعنى أنَّ الفصـــيح المبدع يصـــلُ إلى الغايات التي يريدها مُعَبِّراً عن أَدقِّ المعاني باصــطناعه أســاليبَ تتجاوز المتحقِّق في الواقع مُسْــتَعيناً بالقدرات الكامنة في اللغة، ومســايراً لقوانينها العميقةِ الراسخةِ في ملكتِهِ، يقول سيبويه: "ليسَ شيئاً يضطرون إليه إلاّ وهم يحاولون بهِ وجهاً" (سيبويه،١٩٩٩، ٣٢/١)

بمعنى إذا لم يكن ذلك يتماشـى مع سُـنَنِ العربية فليس له ذلك، يقول الدكتور عبدالوهاب العدواني: "إذا اضطرّ –يقصد المتحدث شاعراً أو غير شاعر– ولم يَكُن من أغراضه بلوغ غايةِ هي من صميم اللغة وتشكيلاتها فليس له ذلك"(العدواني،١٩٩٠ ،١٩٩).

ثُمَّ كيف يمكنُ لأيِّ لغةٍ أَنْ تواكب العصور إذا وَقَفَتْ عند حدود المتحقّق في زمن بعينه؟

... وقد لحظ الكاتب باستغراب كبير –كما يقول– أَنَّنا كثيراً ما نُقدّم الصفة على الموصوف دُوْنَ أَنْ نَشعر. يقول هذا وكأَنَّه يقرأُ العربيَّة لأوّل مَرّةٍ، وَيَسْتَغربُ من هذا التعبير الذي لا يَنْسَجِم، والمنطقَ العقلي، أَمَّا أَنا فأجدُ نفسي أَحقَّ منه بالإستغراب من استغرابه، فَقد فاتَهُ أَنْ يسأل لِمَ وُجِدَ هذا الأُسلوب؟ وَبِمَ يفترق عن أُسلوب (تقديم الموصوف على الصّفة)؟... وكأَنّي ألحظ من خلال كلامهِ أَنَّ اللغة تسيرُ على غير هدى، وأَنَّ متحدِّثيها لا يدركون معنى أَنَّ تتقدم الصفة على الموصوف، والمعاني المُتحقِّقة من خلاله... فكيف اصطنعوا ذلك في لغتهم، وارتكبوا هذا الهذيان الخارج على عرفهم اللغوي –كما يعتقد–؟

... أَعود ثانيةً إلى موضوعنا الأساس (تقدم الصفة على الموصوف) فعبدالحق فاضل يرى أَنَّ هذا التعبير اكتسبته العربية بسبب مجاورتها للغة الفارسية التي تصطنع الأسلوب نفسه، ويخصّ بهذا التأثير عربَ العراق وساحل الخليج العربي، ويستثني من هذا التأثير عربَ الشام لمجاورتهم للغة اللاتينيَّة، وهي كاللغة العربية تقدم الموصوف على الصفة...(فاضل ،د.ت ،١٥٧ـ ١٥٨)

والجدير بالملاحظة أَنَّ ما يُقصد من تقدم الصفة على موصوفها في اللغات الآرية ومنها اللغة الفارسية هو نفسه الذي يقصده العربي وهو يقدّم الموصوف على الصفة، فليس هناك تعبير جديد في تلك اللغات لتكتسبه اللغة العربية هذا أَوّلاً... وهو يستثني عرب الشام من هذا التأثير، بمعنى أَنَّ عرب الشام لا يصطنعون هذا التعبير في كلامهم، ونحن نعلم أَنَّ النابغة الذبياني الكثير التردّد على الغساسنة يمدح ملوكهم يقول في مطلع إحدى قصائده يمدح (آل جفته)

كليني لهُمّ يا أُميمةَ ناصب وليل أُقاسيه بَطِيءِ الكواكبِ(النابغة الذبياني،١٩٦٩ ،٤٨)

يقول (بطيء الكواكب) فيقدم الصفة (بطيء) على الموصوف (الكواكب) ولم يعترض عليه أَحد.

وحتّى يبرهن (عبدالحق فاضل) على أَنَّ تقدم الصفة على موصوفها كانَ خلطاً لغوياً يقول عن تعبير (طويلُ النجادِ رفيعُ العماد): "لا يُمكن أَنْ يكون العماد له طويل (أَو شيء طويل) لأَنَّ المقصود من هذا التعبير أَنَّ النجاد هو الطويل، ولا يُمكن أَنْ يكون العماد له شيء رفيع لأَنّه هو الشيء الرفيع"(فاضل ،د.ت ،١٥٧).

... أقول إذا كان نجادُ سيفه طويلا فهذا يتماشى مع طول قامته كناية على حسن قوامهِ، ورشاقته، ولا علاقة لذلك بسيف أو شجاعة، وكذلك (رفيع العماد) فالمتحدِّثة (أُم زرعة)(ابن منظور،١٩٩٥ ، ٣٨٧/٩) لا تريد وصف الأعمدة بالطول والتعبيران (طويل النجاد رفيع العماد)

مُضـــاف ومضـــاف إليه، بمعنى أَنَّ الكلمتين تُكملُ إحداهما الأخرى، فهما شـــيءٌ واحد، وطويل النجاد خبرٌ لمبتدأ محذوف (هو) أي الممدوح، فأيّ خلطٍ ارتكبته هذه الأعرابية؟ ولو كانَ هذا الذي استشعره (عبدالحق فاضل) خلطا لاستشعره العربي وأنكره... ثمَّ إنَّ هذا التعبير ليس من ابتكارات (أم زرعة) فقد استعارته من قصيدة لشاعرة سبقتها في الزمن (الخنساء) ترثي أخاها صخر (الخنساء،١٩٦٨، ٣١)

رفيع العماد طويل النجادِ سادَ عشيرتَه أمردا

(الخنساء،١٩٦٨، ٣١)

عندما قدَّمتِ الخنساءُ الصفةَ على الموصوف فلأنّها أرادتْ أَنْ تقدم الأَهم على المهم، ولو لم تفعل، وظلَّ الموصوف هو المتقدم لَمَا زادتْ أَن وَصَفَتْ نجاد زوجها بالطول (وهو طويل القامة) وكذلك (عمادُهُ رفيعٌ) إلا أَنّها وبتعبيرها هذا جعلتِ الممدوح متلبسا بهذه الصفة، والصفة متلبِّسَةً به.

وهنا لديَّ ملاحظة أَحببتُ ذكرها قبل أَن استمرّ في تتبع آراء عبدالحق فاضل وهي: إنَّ تعابير من مثل (طويل النجاد – رفيع العماد – كثيرُ الرَّمادِ) تدلُّ على الديمومة والثبات، فهي صفات مُشَبَّهٌ باسم الفاعل، فأيُّ علاقة لها بموصوف وصفته؟ ثُمَّ إنَّنا غيرُ ملزمين بإضافة (رفيع) إلى (العماد) أو (طويل) إلى (النجاد) فالمتحدث بإمكانه أَنْ يقول: (رفيعٌ عمادُه) (طويلٌ نجادُه) (كثيرٌ رمادُه) فيرفع ما بعد الصفة المشبَّهة بالفاعلية... ويُمكنُهُ أَنْ يقول: (رفيعٌ عماداً طويلٌ نجاداً) بنصب ما بعدها على التمييز أو على التشبيه بالمفعول به(الانصاري، ١٩٨٥، ٢٧١/٢ ؛السيوطي، ١٩٩٨ ،٦٤/٣ ؛ابن السراج، ١٩٩٩، ١٣٢/١؛ حسن،١٩٧٨، ٢٩٤/٣.)

ويبقى (عبدالحق فاضل) في المكان نفسه، وهو يُبرهن على لا منطقيَّة (طويل النجاد – رفيع العماد) بذكر أخوات لهذا التعبير مثل (شديدُ البأس – أهرت الشدقين – أَفلج الثنايا– ذلفاء الأنف– قب البطون– وقد آذتْ أَسماعهم لاصطدامها بسلائقهم ولا منطقيتها"... وكان قبل ذلك قد ذكر: لذيذ الطعم – حسن الطالع – بعيد النظر – سَيِّيء الظن(فاضل ،د.ت ،١٦٤)... وأرى أَنَّه كلّما ذكر أَمثلةً من لغة العرب على هذه الشاكلة، منحنا الدليل على عراقة هذا الأسلوب في اللغة العربية، وانتشاره بشكل واسع على ألسنةِ المتحدِّثين...

ويقول عن كلِّ ذلك: إنها قد صدمت أَسماعهم، وأقول بل منحتها نهجاً جديداً في التبعير وفطنةً تتجاوز ما ألفوهُ من جملٍ يتقدّم فيها الموصوف على الصّفة... فالتعبيران مستقلان لم يقل أَحدٌ من النحاة إنّ بينهما صلة، نعم قالوا: تتقدّم الصفة على موصوفها عندما تكونُ نكرةً هي وموصوفها، ولكنهم قالوا كذلك إنّها لم تَعُدْ عندما تقدّمت على موصوفها صفةً بل أصبحت حالاً وغالباً ما يستشهدون بقول الشاعر(سيبويه، ١٩٩٩، ١٢٠/٢ ؛الانصاري، ١٩٨٥، ٨٢/٢)

لِمَيّةَ موحشا طَلَل يلوح كأنَّه خَلَلُ

(سيبويه، ١٩٩٩، ١٢٠/٢ ؛الانصاري، ١٩٨٥، ٨٢/٢)

فموحشاً حال كما رأينا، ولو كانت صفة وتقدمت على موصوفها لقلنا (موحشٌ طللٌ) فأيّ علاقة لـ(موحش) الصفة المرفوعة بـ(موحشا) الحال المنصوبة؟

... لقد أَكثر (عبدالحق فاضـــل من إيراد الأمثلة على ما اعتقد أَنّه تقديم الصـــفة على الموصـوف، وحتّى أُغادر هذه المسألة نهائيا، أُضـيف إلى أَمثلته هذه الأبيات التي أراها أَحقَّ من غيرها بالاســتشــهاد بها. ولنرى أَنَّ الأســاليب تتنوع وفقا للمعاني التي يرمي إليها المتحدث يقول الشاعر عنترة بن شداد في معلقته:

جادتْ له كفي بعاجل طعنةٍ بمثقَّفٍ صِدق الكعوبِ مُقَوَّمِ

(الزوزني،د.ت،١٢٣)

ويقول النابغة الذبياني الذي سبق الاستشهاد به

كليني لِهَمّ يا أُميمة ناصبِ وليلٍ أُقاسيهِ بطئ الكواكبِ

(النابغة الذبياني،١٩٦٩، ٤٨)

فقول عنترة (بعاجل طعنةٍ) بإضــافة (عاجل) إلى (طعنة) إنّما أراد الكلمتين معاً، فطعنتُهُ التي يَتَحدّث عنها كانت مباغتةً وسريعة، فقَدّمَ (عاجل) على الطعنة لأنه قصد السرعة، والبراعة، وهذا هو الأَهم في نظره، ولم يغفل عن ذِكر الطعنة، فقد مزجها بعاجل فأصـبحتا كالكلمة الواحدة (مضــاف ومضــاف إليه) ولو أَنّه قدَّم (الطعنة) ثُمَّ وصــفها بالســرعة ما زاد على أن جعل لهذه الطعنة صـــفة واحدة لا تتعدّاها إلى غيرها... أَمّا النابغة فقد قدَّم (بطيء) على الكواكب لأنَّ الكواكب لا تعنيه، فهي ستزول إذا زال الليل، فثباتها حاصل من بطءِ الليل، وعند إضافةِ (بطيء) إلى الكواكب أرانا النابغة حركة هذا الليل البطيئة، وأرانا الليل بكلِّ صـــفاته ظلامَه، وحشـــتَه، همومَه.

من خلال هذا الاستعراض السريع يرسخ في يقيننا أَنّها أَساليب لا تنقادُ إلاّ لأصحاب المواهب الفائقة.

ولن أُطيل الوقوفَ عند تشبيههِ لهذا الأَسلوب أَعني تقديم الصفة على الموصوف بسلوك فرخ البط الذي يفقسُ مع بيض الدجاج (فاضل، د.ت ،١٥٩)؛ فالتشبيه غير موفق، فالبطّ سلوكه غريزي، ويتصرف وفق حاجاته، في حين أَنَّ الأساليب اللغوية نتاج فكر إنساني مُنَظَّم.

وينعى –عبدالحق فاضـــل– على الصـــفة جحودها للموصـــوف عندما تَتَقَدَّم عليه... ويسترسل للبرهنة على ذلك بقوله: "الرئيس غزير العلم" فالصفة (غزير) قد قطعت كلَّ صلةٍ لها بموصـــوفها (العلم) وصـــارت خبراً للمبتدأ (الرئيس) وكأنّما الرئيسُ هو العزير (فاضـــل ، د.ت

١٦٠،)... أقول: (غزير العلم) هي الخبر بمعنى أنَّ الإضـــافة أشـــركت (العلم) في بيان معنى المبتدأ (الرئيس) فالصلة قائمةٌ بل أَراها زادتْ رسوخاً، ثمَّ ما أَصلُ جملة (الرئيس غزيرُ العلم) قبل أنْ تتقدَّمَ الصـــفةُ كما يرى عبدالحق فاضـــل على موصُـــوفها؟ من المؤكد أَنّها كانت على الوجه الآتي: (الرئيس علمُه غزيرٌ) فالمبتدأ الثاني (علمُه) وخبره (غزير) أي الجملة الأسمية هي الخبر للمبتدأ (الرئيس) فهل انقطع أثر العلم في كلِّ ما ورد من جمل؟

ويضيف "قد تعود فتصبح صفةً أَيضاً ولكن لا لموصوفها الحقيقي الذي تَقَدّمت عليه بل لمالكه... وهذا من أَغرب أطوارها إنْ لم يكن أَغربها طُرّاً ذلك بأنّ موصـــوفها الجديد قد يكونُ مغايراً لها، أو مناقضاً كلَّ المناقضة يَتّضح هذا في مثل قولك عن فلان: كريمٌ لئيمُ الأتباع، معتوهٌ نجيبُ الولد، غنيَّ فقير الجار، ونحن عند إعراب هذه الصـــفات ملزمون نحوياً أَن نقول (لئيم) صـفة (كريم) و(نجيب) صـفة (معتوه) و(فقير) صـفة (غني) خلافاً لبديهيات المنطق، وما كان هذا ليقعَ لو أَنّنا جرينا على القاعدة العربية فقلنا (كريمٌ أتباعه لئام) (معتوهٌ ولدُهُ نجيب) (غنيٌّ جارُهُ فقير)"(فاضـل ، د.ت ،١٦٠)، وكأنّي بهِ يريدٌ أن يُحجّمَ اللغة، وينكر عليها بعضَ أَساليبها، وكأَنَّ الواقع لا يحتملُ أنْ يوجد فيه رجلٌ كريم يُحيط به أصـــدقاءٌ سَـــيّئون وكذلك جملة (معتوهٌ نجيب الولد) وجملة (غنيٌّ فقير الجار)، فهذا كُلَّه مِمَّا يَصُـــحّ عقلا، ويتوافق والمنطق. والغريبُ قوله: إنّنا عند إعراب هذه الصـفات ملزمون نحوياً أَن نعرب (لئيم) صـفة (كريم) في قولنا (فلانٌ كريم لئيم الأَتباع) أقول نحن غير ملزمين بإعراب (لئيم) صفة لـ(كريم) ولي على هذا الملاحظات الآتية: الملاحظة الأولى: لو صحَّ إعراب (لئيم) صفة لـــ(كريم) لَمَا كانَ هناك تناقض، وخروجٌ على المألوف اللغوي، فكريم ليس هو اللئيم وإنّما أَتباعُه، والملاحظة الثانية: المنطق النحوي يقتضـي إعراب (لئيم) خبراً لمبتدأ محذوف تقديره (هو) ويجوز إعراب (لئيم) خبراً ثانياً لـــ(فلان) والملاحظة الثالثة: كيف راقَ له إعراب (لئيم) صـفة لـــ(كريم) وكريم نكرة ولئيم معرفة (مُعَّرفة بالإضافة)؟ فأيّ خروج على المنطق في كلِّ ما مَرّ ذكرهُ؟

... أعود ثانية إلى موضـوع (تقدم الصـفة على الموصـوف) ولعلّها العودة الأخيرة، فهو يرى أي –عبدالحق فاضـل– أنّ هذا السـلوك اللغوي الشـاذ قد تَمَكَّنَ من اختراق اللغة العربية، وانتشر بين مُتَحَدِّثيها، وعالج المسألة هذه المرّة عن طريق لا صلة له بصفةٍ أو موصوف وإنّما عن طريق مقارنته بأسـلوب (المضـاف والمضـاف إليه) وعلى الوجه الآتي يقول: "آفة تقديم المضـاف إليه كانت قد أَصـابت بعض العرب... ولكن عدواها لم تتمكّن من الإنتشـار ولا البقاء، لأنّها تُحدثُ اللَّبسَ، وقلبَ الحقائق ما لا يمكن احتمالها معه... فإذا عكســنا انعكس المعنى كما في مثل (حارسُ البيتِ) بدلاً من (بيت الحارس)(فاضـل ، د.ت ،١٦٣)، يُريد من هذا أَن يقول: إنَّ العرب قبلتْ تقدم الصفة على موصوفها ولم تقبل تقدم المضاف إليه على المضاف، وضربَ

لنا مثلاً بـــ(حارس البيت) وأجهدَ نفسه بالمقارنة بين أسلوبي تقدمِ الصفة على الموصوف، وتقدّم المضـــاف إليه على المضـــاف، ولا أرى وجها للمقارنة، فما علاقة جملة (حارس البيت) بجملة (بيت الحارس)؟ لا وجهَ للشَّبه بينهما إلا بتكرار الألفاظ نفسها في الجملتين، ونحن نعلم أَنَّ اللفظة تكتســبُ معناها، وفاعليتها في الجملة من خلال انتظامها في التركيب مع غيرها، فنحن إذا أَردنا أَنْ نتعرف على الحارس جعلناه مضـافاً إلى البيت، وإذا أَردنا أَنْ نتعرّف على البيت أَضـفناهُ إلى الحارس، فالتركيب هو الذي أَعطى المعنى العام للجملة وليســت المفردات، ويضــيف أَنَّ صــلة الصّفة بموصوفها ظَلَّتْ قائمةً في بعض الأَحيان، وليس في جميعها لأَنَّ ذلك سيبدو غيرَ مقبول في غير التعابير التي اسـتشـهدنا بها، فليس من المألوف كما يرى أَنْ نقول (عجوزُ امرأةٍ) بمعنى (امرأة عجوز) كما يَصُحّ أَنْ نقول: (عتيق خمر) بمعنى (خَمْرٌ عتيقة)(فاضل ، د.ت ، ١٦٤ـــ ١٦٥).

وأراني ملزماً أَنْ أقول مَرّةً أُخرى: إنَّ تقدم ما كان صـفة على موصـوفها هو أَسلوب آخر لا علاقة له بتقديم أو تأخير، فاللغة تقبل من الصـــيغ على وفق قوانينها للتعبير عن المعاني المستجدّة في النفس، فنحن لا نقبل كما يقول–عبدالحق فاضل– أنْ يقال: (عجوزُ امرأةٍ) ونقدم الصفة على موصوفها كما نقبل أَنْ يُقال: (عتيق خمر)، وكأَنَّ المسألة عشوائية لا ضابط لها، نحن لا نقبل (عجوز امرأة) ليسَ لأَنَّ الجملة فيها تقديم وتأخير، وإنّما لأَنّ (عجوز) هي إمرأةٌ مُسِنَّة، فأيّ حاجة بنا إلى أَنْ نلحقها بكلمة (امرأة) ... ولجلاء الأمر أَكثر أَقول: عندما يُقال (امرأة) تبقى بعض المعاني مبهمة، فالنســاءُ ذواتُ أوصاف عديدة فنحتاج إلى ما يوضّح لنا صفةَ هذه (المرأة) مثل (فتَية أو عجوز) وغير ذلك... أَمّا إذا قدمنا كلمة (عجوز) فلا حاجة بنا إلى أَنْ نقول بعدها (امرأة) فعجوز تدلّ على الصفة وصاحبة الصفة... أَمّا إذا قلنا (عتيق خمر) فالصـــلة قائمة بين جودة الخمر وعتاقتها، فالقدم مَنَحَ الخمر الجودة بمعنى أَنَّ (عتيق) لوحدها لا تَدُل على موصـوف معين أَخمراً كان أم غير خمر. وعندما قَدَّمنا (عتيق) وأضـفناها إلى (الخمر) اكتســبَ التعبير معنى لا نراهُ في كلمة (الخمر) لوحدها ولا في عتيق لوحدها كذلك، وإنَّما المعنى يكمنُ في الكلمتين معاً اللتين امتزجتا بفعل الإضافة.

وأخيراً أدعو القارئ الكريم إلى أَنْ يتأمل فيما قاله –عبدالحق فاضـل– أَواخر موضـوعه هذا يقول: "ومهما يكن فإنَّ هذهِ البدعة بالرغمِ ممّا أحدثت من شـــغب، وَفَوضـــى قد أَغنتِ العربية، وســـاعدت على صياغة تعابير كانت ممتنعة قبلها، وأضافتْ إلى العربية مرونةً فوق مرونتها"(فاضل، د.ت، ١٦٣).

وعلى الرغم من أَنَّ كلامه هذا ينفي كلَّ ما قاله من قبل... أقول: أَنا لا أَرى أَنَّ شـــغبا وفوضـــى ينتجانِ إثراءً وتعابير فائقةً في اللغة، ولابُدَّ أَنْ نصف ما توهمنا أَنّه شغب وفوضى بصفاتٍ أُخرى تعاكسها تماماً. أَمّا قوله: إنَّها أَنتجتْ –أي الفوضـى– تعابير كانت ممتنعة من قبل، فلا شـيءَ من هذا قد حَصَـلَ،

فهذه التعابير موجودة قبل أَنْ نكتشف –متوهين– أَنّ هناك صفاتٍ قد تقدمت على موصوفاتها... (ومن الله التوفيق).

نتائج البحث

- ليس في اللغات الآرية، ومنها اللغة الفارسية أُسلوب تتقدم فيه الصفة على موصوفها بالمعنى نفسه الذي قَدَّم فيه العربي الصفة على موصوفها لتكتسبه منها.
- أُسلوب تقدم الصفة على موصوفها عريقٌ في اللغة العربية، بدلالة وروده على ألسنةِ كبار الشعراء منذ عصر ما قبل الإسلام.
- الأسلوبان: (تقدم الصفة على الموصوف) و(تقدم الموصوف على الصفة) لا علاقةَ لأحدهما بالآخر، فلكل أُسلوب وجهةٌ يُعَبِّر فيها عن المعنى الذي يريد.
- لم يكن –عبدالحق فاضل– موفقاً في تشبيه تصرفات الصفة عندما تتقدم على موصوفها بسلوك المرأة مع زوجها، أو بسلوك فرخ البط عندما يفقس مع بيض الدجاج لاختلاف طبيعة كلٍّ منهما.
- التقديم والتأخير في اللغة يحصل لاستحداث معانٍ جديدةٍ لا تنهض بها التعابير المتداولة، وهذه التعابير لا يقوى على استحداثها إلاّ الشعراء الكبار، وأصحاب الملكات العالية.
- يلاحظ أَنَّ أَغلبَ التعابير التي يُظَنّ أَنَّ الصفة فيها قد تقدمتْ على موصوفها هي صفات مُشَبَّهة باسم الفاعل، وتعمل فيما بعدها الجرَّ غالباً، أو الرفع على الفاعلية أَو النصب على التشبيه بالمفعول به أَو التمييز.
- لا يُقصد باستحداث تعابير جديدة أَنّ مبتكريها قد خرجوا على قوانين اللغة المتعارف عليها بل إنَّ ذلك يجري وفق قوانينها العميقة في نفس المبدع.
- من الوضح ان عبدالحق فاضل يميل الى المدرسة البصرية التي تقول بعدم اضافة الصفة الى الموصوف لانهم يرون بان الصفة والموصوف (شيء واحد) مع لجوئهم الى التأويل .

المصادر

- ابن منظور. محمد بن مكرم بن علي. ط١. ١٩٩٥ " لسان العرب " بيروت – لبنان. دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي .
- الانصاري. ابن هشام عبدالله جمال الدين. ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م. "مغني اللبيب –عن كتب الأعاريب" شركة دار الأَرقم بن أَبي الأَرقم للطباعة والنشر والتوزيع .
- الأنصاري. ابن هشام. ط٢. ١٩٨٥م. "أَوضح المسالك إلى ألفيةِ ابن مالك" بيروت. دار إحياء العلوم.
- الجرجاني. أبو بكر عبدالقاهر. ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م. "دلائل الإعجاز في علم المعاني" القاهرة. مطبعة المدني .
- الخنساء. ط٥، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م. "ديوان الخنساء" لبنان. دار الأندلس للطباعة والنشر .
- الذبياني.زياد بن معاوية بن ضباب. ١٩٦٩م. "ديوان النابغة الذبياني" بيروت لبنان. الشركة اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع .
- الزركشي. محمد بن بهادر بن عبدالله. ط٢، ١٣٩١هـ-١٩٧٢م."البرهان في علوم القرآن" بيروت. دار المعرفة .
- السيوطي. للامام جلال الدين عبدالرحمن بن كمال الدين . ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م. "همع العوامع شرح جمع الجوامع" بيروت – لبنان. دار الكتب العلمية.
- العبسي. عنترة بن شداد. ط٤ ١٨٩٣م. "ديوان عنترة بن شداد" بيروت. مطبعة الآداب لصاحبها: أمين الخوري.
- العدواني. د.عبدالوهاب محمد علي. ١٤١٠هـ-١٩٩٠م. "الضرورة الشعرية دراسة لغوية نقديّة" الموصل. مطبعة التعليم العالي .
- بن السّراج. أبو بكر. ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م."الأصول في النحو" بيروت / لبنان. مؤسسة الرسالة ناشرون .
- بن جِنّي. أبو الفتح عثمان. ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م."الخصائص" بيروت – لبنان. منشورات دار الكتب العلمية .
- حسن . عباس ط٤، ١٩٧٨م. "النحو الوافي" القاهرة. دار المعارف .
- سيبويه. عمرو بن عثمان. ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م. "الكتاب" بيروت – لبنان.دار الكتب العلمية
- فاضل. عبدالحق. د.ت. "مغامرات لغوية" بيروت. توزيع دار العلم للملايين.
- الزوزني .ابو عبدالله الحسين بن احمد. د.ت. "شرح المعلقات السبع" العراق – بغداد.مكتبة النقاء .

Record the sources

1. Principles of Grammar / Abu Bakr bin Al-Sarraj (d. 316 AH), edited by: Abdul Hussein Al-Fatli / Al-Resala Publishers Foundation - Beirut / Lebanon, 1420 AH - 1999 AD.
2. The clearest paths to the millennium by Ibn Malik/Ibn Hisham Al-Ansari, (d. 761 AH), Dar Ihya' al-Ulum, 2nd edition, Beirut, 1985 AD.
3. Al-Burhan fi Ulum al-Qur'an / Al-Zarkashi / Edited by: Muhammad Abu Al-Fadl

Ibrahim / Dar Al-Ma'rifa - Beirut, 2nd edition, 1391 AH - 1972 AD.

4. Characteristics/ Abu al-Fath Othman bin Jinni/ Investigation: Abdul Hamid Hindawi/ Dar al-Kutub al-Ilmiyyah Publications - Beirut - Lebanon, 2nd edition, 1424 AH-2003 AD.
5. Evidence of Miracles in the Science of Meanings/Abu Bakr Abd al-Qahir al-Jurjani (d. 471 AH), edited by: Mahmoud Muhammad Shaker/Al-Madani Press - Cairo, 3rd edition, 1413 AH-1992 AD.
6. Diwan Antarah bin Shaddad Al-Absi / Al-Adab Press, owned by: Amin Al-Khoury, 4th edition, Beirut, 1893 AD.
7. Diwan Al-Khansa / Dar Al-Andalus for Printing and Publishing - Lebanon, 5th edition, 1388 AH - 1968 AD.
8. Diwan Al-Nabigha Al-Dhubyani / verified and presented by lawyer: Fawzi Atwi / Lebanese Printing, Publishing and Distribution Company - Beirut - Lebanon / 1969 AD.
9. Poetic necessity - a critical linguistic study - / Dr. Abdul-Wahab Muhammad Ali Al-Adwani / Higher Education Press / Mosul / 1410 AH - 1990 AD.
10. The book / Amr bin Othman, nicknamed Sibawayh / commented on it and made its footnotes and indexes: Dr. Emil Badie Yaqoub / Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut - Lebanon, 1st edition, 1420 AH - 1999 AD.
11. Lisan Al-Arab / Ibn Manzur / Dar Revival of Arab Heritage, Arab History Foundation - Beirut - Lebanon, 1st edition, by me, by nature: Amin Muhammad Abdel-Wahhab and Muhammad Sadiq Al-Obaidi.
12. Linguistic Adventures/ Abdel Haq Fadel/ Distributed by Dar Al-Ilm Lil-Millain/ Beirut.
13. Mughni al-Labib on the Books of the Arabs/Ibn Hisham (d. 761 AH), edited and commented by: Barakat Yusuf Haboud/Dar al-Arqam Bin Abi al-Arqam Printing, Publishing and Distribution Company, 1st edition, 1419 AH-1999 AD.
14. Al-Nahhu Al-Wafi / Abbas Hassan / Dar Al-Maaref - Cairo, 4th edition, 1978 AD.
15. Hama' al-Awami', explaining the plural of jama'i' / by Imam Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911 AH), edited by: Ahmed Shams al-Din/ Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut - Lebanon, 1st edition, 1418 AH-1998 AD.